

جناح متمرد



بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

الكتابة

الصحافية ..

كلمة شرف

لا خير في صحافي لا يملك أنياباً، ولا خير في ناب لا ينوب عن قضايا وطنه وأمته، شريطة ألا يقتات الصحافي أو يتسول تقديراً من الآخرين

■ كم تحدثنا مراراً وتكراراً عن أهمية شرف الكلمة لدى الصحافي ودوره في إمطة اللثام عن الحقائق وإسهاماته الفاعلة في إنارة الرأي العام وإرشاد ذوي الاختصاص والشأن بمواطن ويؤثر الفساد في محاولة إيجاد مخرج أو حل للأزمات التي تعترى المواطن أو المجتمع أو العالم من حوله .. وهو في ذلك أشبه (بضمير الأمة)، والضمير إذا ما أصابه عطب، عطبت وياها مفاهيم الحياه ومرتكزات سبل البقاء والنزيهة .. ومما يأسف له بحق وجدارة ما اكتظت به ساحتنا الصحافية جمعاء من وجوه جديدة وعديدة، منها من هو ملم بعمله قادر عليه، ومنهم من هو وافد حديث لا يفهم من عمله سوى أنه وظيفة يعيش على مرتبها الشهري، ومنهم من دفع به إلى هذه المهنة دفعا وهو لا يفهم أجددياتها فبات يضربها هنا وهناك على غير هدى وبصيرة، غير أنهم جميعاً يشككون في الأخير شريحة من شرائح المجتمع الموكلة بإنارة الرأي العام وتوجيهه، فهم كلهم مسؤولون وعليهم تقع تبعة التوعية والإرشاد، والناظر إلى تطورات هؤلاء يجد أنها تتفاوت حسب فهمهم للعمل الصحافي، وتكاد تنحصر في العمل من أجل لقمة العيش، فهم موظفون والصحافة عندهم مجرد وظيفة ..

وهنا يبدأ الانزلاق والتخبط المزوع، فالصحافي بالذات إذا ما تعامل مع قلمه كوسيلة رزق، فإنه يجد نفسه بعد حين فريسة المادة البغيضة، والتي تحول في كثير من الأحيان النظر بعين ثاقبة، سليمة، لا يعترىها أو يشوبها شائب أو ملوث، وقد يتحول - أعني الصحافي - دونما شعور منه إلى أحد أقطاب تكبيل وسجن الكلمة بنوع وصورة مغايرة، بانحرافها عن مسارها الصحيح ومحاولة نيل أكبر قدر ممكن من القراء في محاولة واضحة وصريحة لتضليلهم وأي تضليل ؟

إن المتتبع حركة ثقافة الشعوب ونيلها حرياتنا يلحظ عدم جوار الفصل بين الرقي بالثقافة العامة من جهة (إنارة الرأي العام / إحدى مهام الصحافة) وإصلاح مواطن الفساد في الأنظمة السياسية من جهة أخرى، ولعل تلك إحدى إشكاليات المثقف العربي حينما تعتمد الأنظمة السياسية العربية إلى إقصائه وتهميشه بالقمع الأيدلوجي تارة وبسجن الكلمة تارة أخرى خوفاً من تطرفه لأحداث وهموم تمس أحاسيس ووجدان الشارع العام، مما قد يكون دافعا حقيقيا للمطالبة بالتغيير والتحديث - يتحسس البعض من كلمة (تغيير)، والذي ليس بالضرورة أن يكون تغييراً لنظام الحكم، وإنما التغيير المنشود هو ما يصب في تغيير الأنظمة والقوانين الجائرة التي تحول دون تحقيق دولة القانون والمؤسسات .. وأما مصلحة المواطن فهي شبيهة إلى حد كبير بمصلحة الحكومات، وحتى أفسد الحكومات لا تتوانى عن تحقيق مطالب مواطنيها، يبقى الخلل والتقصير محصورين في آليات ووسائل التطبيق -

على أن الخطوة الأولى التي يجب أن تمارس في هذا الاتجاه هو أن يكون للصحافة دور تثقيفي وتنويري في توعية المواطنين بأدوارهم التي يجب أن يلعبوها في العملية التنموية وتطوير واقعهم الثقافي والاجتماعي

والسياسي الذي يعيشونه، وتوجيههم نحو كيفية لعب هذه الأدوار بشكل عملي، وتزويدهم بالخطوات التي يجب عليهم أن يتخذوها ليكونوا أعضاء مشاركين وفاعلين ومؤثرين في تشكيل هياكل العمل السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي. ولعل من أهم الأدوار التي على الصحافي أن يتبناها ويضطلع بها ويحققها بشمل ملموس على أرض الواقع هو بناء المواطن العربي الواعي والمستنير والمبادر والمقدام والقضاء على النموذج السلبي للمواطن المتكئ أو المتردد أو المتخوف، ولكن كيف نبني مواطناً قادراً على التخلص من براثن جهله والتخلف من غير وسائل تنير له الطريق ؟

إن الكتابة الصحافية النزيهة هي إحدى تلك الوسائل، وكلما ترفع صاحبها وسما بأخلاقيات مهنته عن دائرة ضوء المصلحة الشخصية وما لا يدور في فلكها من موبقات، ساهمت كلمته في زحزحة وتحريك الأوراق والملفات الساكنة .. ولما كان الصحافي لا يستطيع بمفرده عمل كل ذلك، فإنه يجب على الجهات والمصادر المعنية التعاون وإفساح المجال له نحو غد مشرق، بدءاً بالكشفة والمصارحة، مروراً بالاعتراف بضرورة تخطي حاجز العرف السائد .. ولئن يتحقق ذلك إلا بضمان وصول الصحافي إلى مصدر المعلومة أولاً وملاحقته للحقيقة مهما كلفته من مصاعب ومشاق ثانياً، متخذاً من إيمانه بمهنته سلاحاً، متحرراً من قيود الحياة الدنيوية والمعيشية .. وتستطيع أجهزة الإعلام في أي بلد عربي أن تقوم بدور المعزز والداعم لعملية البناء الفكري والاجتماعي لعقليات وذهن وفكر المواطن، الذي هو أساس وجوه العملية التنموية على المستوى القطري في كل بلد عربي لوحده، وأن يسهم في عملية الاستقرار السياسي والأزدهار الاقتصادي، ويشكل التصير والمؤيد الذي يعين على تهيئة كل العناصر البشرية والمادية لتنفيذ السياسات والبرامج والاستراتيجيات التطويرية المرسومة من قبل المخططين في هذه الدول .. حيث بات من واجبات كدول عربية لها كياناتها السياسية والاقتصادية، أن تكون شركاء فاعلين وحقيقيين في صنع هذا التغيير والتحول الإعلامي المذهل.

إن عملية النهوض بالمستوى الثقافي في المجتمعات عملية متعددة الأقطاب، تساهم في تثبيت دعائمها الأنظمة السياسية بالدرجة الأولى والرغبة الصادقة لدى المتلقي، إضافة إلى دور المجالس المنتخبة وعدم إغفال الصحافة كإحدى أبرز أدوات إنارة الرأي العام وتوجيهه بإسداء النصائح والقاء الضوء على بؤر الفساد بغية إصلاحها أو تعديلها ..

فلا خير في صحافي لا يملك أنياباً، ولا خير في ناب لا ينوب عن قضايا وطنه وأمته، شريطة ألا يقتات الصحافي أو يتسول تقديراً من الآخرين، وحسبه في ذلك سعياً للمصلحة العامة، ثم اثنتي بصحافي أو كاتب لم يمت مقهوراً، إن لم يكن بالسكته القلبية، فبالسكته الإبداعية ؟